

مصطلحات النقد الروائي وواقع الترجمة في البحوث العربية Terms of novel criticism and the reality of translation in Arabic research

صابر جمال

djamel.sabeur@univ-mosta.dz

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم / الجزائر

تاريخ النشر: 2023/06/30

تاريخ القبول: 2023/05/23

تاريخ الاستلام: 2023/04/25

ABSTRACT:

ملخص البحث

Modern and contemporary Arabic literature witnessed the emergence of several new literary and artistic genres, after contact with the West, and at the forefront of these genres we find the novel, which was adopted by many of our Arab writers. With this qualitative shift that affected the arts of literature, critical studies appeared trying to establish this genre in order to establish its foundations in Arab culture. And since the origin of it is foreign, whether with regard to the genre of the novel as a creative art, or at the level of critical practice associated with this genre in terms of theories and methods, the research sought to raise a group of issues that are mainly focused in this field, taking different paths and different starting points in the critical process. Perhaps the issue we encounter the most in this regard is the translation of the term, which resulted in a great problem, so the critics began to translate it and Arabize it as they saw it according to each direction, without taking into account the results arising from this plurality.

Keywords: Translation, term, criticism, novel, Arabic literature

عرف الأدب العربي الحديث والمعاصر ظهور عدة الأجناس أدبية وفنية جديدة، وذلك بعد الاحتكاك بالغرب، ومن هذه صدارة تلك الأجناس نجد الرواية، التي تبناها كثير من أدبائنا العرب. ومع هذه النقلة النوعية التي مسّت فنون الأدب، ظهرت دراسات نقدية تحاول التأسيس لهذا الجنس لإرساء قواعده في الثقافة العربية. ولما كان الأصل فيها أجنبيا سواء فيما يتعلق بالجنس الروائي كفن إبداعي، أو على مستوى الممارسة النقدية المصاحبة لهذا الجنس من نظريات ومناهج، أخذت البحوث تطرح مجموعة من القضايا المنصبة أساسا في هذا المجال، سالكة طرقا مختلفة، ومنطلقات متباينة في العملية النقدية. ولعل أكثر قضية تصادفنا بهذا الصدد هي ترجمة المصطلح الذي تمخضت عنه إشكالية كبيرة، فراح النقاد يترجمونه ويعربونه كما يرون حسب كل اتجاه، دونما تحسب للنتائج المنبثقة عن هذا التعدد.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، المصطلح، النقد، الرواية، الأدب العربي، الحداثة.

مجلة لغة - كلام / مختبر اللغة والتواصل / جامعة غليزان (الجزائر)

مقدمة:

يلعب المصطلح النقدي دوراً فعالاً في قيام أي حركة نقدية جادة، وهذا لأنه يوجّه المفاهيم، ويساعد على ضبطها، ويوضح الرؤى لضمان موضوعية النقد من جهة، وتسيير التواصل بين الدارسين من جهة أخرى خصوصاً أنّ المصطلحات أخذت صفة الثبات، ما يبعدها عن إمكانية الانزياح، فهذا يحيلنا إلى اعتبار المصطلح النقدي علامة لغوية (Linguistic sign)؛ وهي متميزة عن العلامة العادية، فالأولى تتكون من دال ومدلول محدّدين بمجال معرفي معيّن. أمّا الثانية يمكنها التدليل على أكثر من معنى، وهنا يكمن جوهر الاختلاف بين اللغة العادية واللغة الاصطلاحية، حيث يتم تأسيس الثانية من الأولى بشكل مضاعف، ما يكسبها دقة وصرامة تتناسبان والمهام الموضوعية لها.

وهذه اللغة الاصطلاحية (اللغة الواصفة metalanguage) في قيامها بوظائفها تستوجب شرطين أساسيين

الأول: تمثيل كل مفهوم بمصطلح مستقل.

والآخر: عدم تمثيل المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح واحد.

ومنه نجد أمامنا سؤالاً محورياً؛ هل تحقق هذان الشرطان في النقد الروائي العربي؟

1\2 إنّ محاولة الإجابة عن هذا السؤال تذكرنا بوضعية الكتابة الروائية في الأدب العربي، من حيث أنّها جنس حديث الظهور، إن لم نعتبره دخيلاً على أدبنا. ومدى الانعكاس السلبي لذلك على الممارسة النقدية المتعلقة بهذا الجنس. خاصة مع الفراغ الذي تعاني منه خزانة التراث العربي فيما يتعلق بالرواية بالمقارنة مع الشعر ونقده. فالتراث لم يقدّم أيّ أرضية للتعامل مع الأجناس الأدبية الجديدة خاصة السردية منها. كونه ظلّ مشغولاً عبر مراحلها بالشعر والإعجاز القرآن كمحورين أساسيين.

هذا انعكس بوضوح في المهام المنسوبة لنقاد هذين الجنسين - أي الشعر والرواية - ففي الوقت الذي يواجه فيه ناقد الرواية بحكم غياب مرجعية نظرية عربية متخصصة مهمة التأسيس والتأصيل، تنسب إلى ناقد الشعر لغنى الموروث العربي مهمة التحديث والتطوير. والفرق شاسع بين المهمتين. وإنجاز المهمة الأولى أجبر الناقد على الاستعانة بالمرجعية الغربية، مورده الوحيد لسد الثغرة النقدية العربية في هذا الميدان، واستدراك التأخر لمواكبة التطور الذي عرفه النقد الروائي، والدليل هو التدفق السريع للدراسات العربية مترجمة وأصلية، والتي استقت بالضرورة مادتها من النظريات الغربية المختصة في النقد الروائي، والسبب واضح وهو حداثة النوع في المشهد الثقافي العربي. لا أنّ تلك الجهود في ميدان النقد الروائي العربي التي بدأت منذ القرن الماضي إلى الآن لا تطمئن خاصة في قضية المصطلح، لأسباب كثيرة ترتبط في مجملها بالكيفية العشوائية للاستفادة، لا بمبدأ الاستفادة في حد ذاته.

1) مصطلحات السرديات والسردية:

السرديات Narratology¹ فرع من أصل كبير هو الشعرية Poetics، التي تُعنى باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية، واستخراج النظم التي تحكمها، والقواعد التي توجّه أبنيتها، وتحدد خصائصها وسماتها.² ومنه فإنّ السرديات هي علم قواعد السرد، وهناك من يطلق عليها اسم السردية

(كما هو عند عبد الله إبراهيم في كتاب السردية العربية، الذي اعتمدنا عليه في هذا العنصر)، وهناك من يطلق اسم السردانية، أو علم القص، أو نظرية القصة (سنتحدث عن هذه الاصطلاحات لاحقاً). وهي مصطلحات تحيل على مفهوم واحد هو (Narratologie) الذي يقصد به تحليل مكونات وميكانيزمات المحكي³، فالسرديات تعمل على دراسة النصوص الحكائية قصد استنباط مجموع الأجهزة الشكلانية التي تمثل النواة المولدة لمختلف أشكال الخطابات القصصية، ويعني هذا أنها منهجية هيكلية، لها أكثر من علاقة بمشكلة المعنى Sens، أو الدلالية (Sémantics) والعلامية (Sémiotics).⁴

فمجال السرديات إذن ليس ضيقاً، بل هي تطمح في أن تكون علماً كلياً، ما دامت تهتم بالبنيات الحكائية في إطارها الشكلي، غير المحدود والمعبر عنه سيميائياً بالبنية السطحية، قصد الكشف عن اللغة الباطنة المتفق على تسميتها بالبنية العميقة.

إنّ تطور السرديات يتم بانتشار الوعي لطبيعة الخطاب في المحكي، وتشكله كحدث إجرائي للتعبير، يتم بثه وإرساله في عملية التواصل.⁵

إنّ السرديات تبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي له، ولما كانت بنية الخطاب السردية نسيجاً قوامه تفاعل تلك المكونات، أمكن التأكيد أنّ السرديات هي العلم الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردية أسلوباً وبناءً ودلالة.

إنّ العناية الكلية بأوجه الخطاب السردية أفضت إلى بروز تيارين رئيسيين في السرديات؛ أولهما السرديات الدلالية التي تُعنى بمضمون الأفعال السردية، دونما اهتمام بالسرد الذي يكوّنها، إنما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال، ويمثل هذا التيار عدد من الباحثين منهم: بروب (Vladimir Propp)، غريماس (Greimas Algirdas Julien)، بريمون (Brémond Claude). وثاني هذين التيارين السرديات اللسانية التي تُعنى بالمظاهر اللغوية للخطاب، وما ينطوي عنها من أساليب السرد، ورؤى، وعلاقات تربط الراوي بالمروي له، ويمثل هذا التيار باحثون أهمهم: بارث (Rolant Barthes)، تودوروف (Tzvetan Todorov)، وجينيت (Gérard Genette). ولم يعد تاريخ السرديات محاولة التوفيق بين منطلقات هذين التيارين؛ إذ حاول جاتمان وبرنس الاستفادة من معطيات السرديات في تيارها الدلالي واللّساني، والعمل على دراسة الخطاب السردية في مظاهره بصفة كليّة، وفيما اتجه اهتمام برنس إلى مفهوم التلقي الداخلي في البنية السردية من خلال عنايته بمكوّن المروي له، اتجه اهتمام جاتمان إلى البنية السردية عامة، فدرس السرد بوصفه وسيلة لإنتاج الأفعال السردية، والبحث في تلك الأفعال بوصفها مكونات متداخلة من الحوادث والوقائع والشخصيات، تنطوي على معنا، وعدّ السرد وسيلة من وسائل التعبير، في حين عدّ المروي محتوى ذلك التعبير، ودرسهما بوصفهما مظهرين متلازمين من المظاهر التي لا يتكوّن أي خطاب سردي من دونها.⁶

يعزى اختراع مصطلح السرديات Narratology المنحوت من Narration أي السرد، و logt أي علم، إلى تودوروف. بيد أن الباحث الذي استقامت السرديات في تيارها الدلالي على جهوده هو فلاديمير بروب، الذي بحث في أنظمة التشكل الداخلي للخرافة الروسية، عندما خصّها ببحث مفصّل،⁷ أكّد فيه على دراسة الأشكال والقوانين التي توجّه بنية الحكاية الخرافية، متحدية حذو الدراسات العلمية التي اختصت بدراسة التشكلات العضوية للنباتات. ممّا يشير إلى أن جذور السرديات تتصلّ على نحو أو آخر بكشوفات المناهج العلمية، ولقد أقرّ الباحثون اللاحقون في حقل السرديات بريادة بروب المنهجية والتاريخية لهذا العلم. وأصبح بحثه في الخرافة موجّها أساسيا لعدد كبير من الدارسين، والذين يسميهم شولز ذرية بروب (Progeny of Propp) مثل غريماس وبريمون وتودوروف وجينيت، ومن المؤكد أن ذرية بروب قد عملت على توسيع حدود السرديات لتشمل جميع مظاهر الخطاب السردية.

لقد انحصر اهتمام السرديات في بداية الأمر في موضوع الحكاية الخرافية والأسطورة، ففضلا عن اهتمام بروب بالخرافة؛ اهتم راغلن باستنباط الخصائص المميزة للبطل الأسطوري. وانتخب داندز متونا خرافية لهنود أمريكا، وجعل ستراوس (Lévi Straauss Claude) الأسطورة الخاصة بأوديب موضوعا لأشهر بحوثه. وسرعان ما تعدد اهتمام السرديين ليشمل الأنواع القصصية الحديثة كالرواية والقصة القصيرة، فظهر عدد من الباحثين أولوا تلك الأنواع جلّ اهتمامهم مثل ميخائيل باختين M. Pakhtine وأمبرطو إيكو U. Eco وجوليا كريستيفا Julia Kristeva، وغيرهم. فخصّبت بحوثهم جميعا هذا العلم الجديد، ووسّعت أفاقه، ثمّ توجّست السرديات علما معترفا به، مع صدور كتاب جيرار جينيت المعنون بـ: خطاب السرد (Discours de Narration) في عام 1963، وفيه تثبت مفهوم السرد وحدود السرديات.⁸

أما عن مصطلح السردية Narrativity فهو سيميائي بحث ظهر بخاصة مع مدرسة باريس السيميائية Paris semiotic school، حيث ينطلق السيميائيون على اختلاف توجهاتهم من تحديد موضوعهم باعتباره (المحتوى الحكائي)، وذلك بناء على أنهم يحددون تبعا لتمييز لويس هيلمسليف Hjelmslev Louis (1899-1965) للعلامة اللسانية والعلامة الحكائية، تتمفصل إلى دال (تعبير) ومدلول (محتوى)، ويتركزهم على المدلول (المحتوى) يلغون الدال من دائرة اهتمامهم.⁹ حيث إنهم في تشديدهم على المحتوى، يريدون الإمساك بالعنصر الثابت في أي عمل حكائي، لأنهم بشكل خاص يهتمون بالمعنى أو الدلالة، ولا يمكن بروز هذا العنصر الثابت إلا من خلال المحتوى، لأنه أساس الحكاية.¹⁰ ولعل أهم سيميائي اهتم بالخطاب السردية هو أج غريماس الذي قدّم نظريته الخاصة بالعوامل، مستفيدا من الدراسات السابقة في مجال السرديات كدراسات بروب، وقبل الخوض في فحوى هذه النظرية وأهم مقولاتها. نحاول التوقف عند مصطلحي "السردية Narrativity" و "المحكي Récit / narrative" وهما مصطلحان* يتكرران كثيرا في هذا المجال.

تظهر السردية في المقاطع السردية وهي مجموع تتابع الحالات والتحويلات المسجلة في الخطاب، والمسؤولة عن إنتاج المعنى. تطرح السردية هنا وكأنها ظاهرة لبناء الدلالة المنتجة لكل خطاب، ومادام المعنى هو ضرب من الاختلاف والمعلن في تتابع الحالات والتحويلات، التي تطبع المحكي بالسمات الجمالية، ليتذوقه كل ذي إحساس مرهف بالإبداع الفني. والمنظور ذاته نجده عند جوزيف كورتيس Courtès Joseph، الذي يرى أن السرد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسردية لأن ما يحددهما هو كون السرد يتعلق بالانتقال من حالة إلى حالة أخرى. وبواسطة هذا الانتقال يحدث التحويل من وضع إلى آخر، من خلال تسلسل منطقي للأحداث، يفضي في النهاية إلى كنه المغزى، بالإمساك بجوهر الدلالة وتشعباتها التي تصل درجة الاستعصاء، ما لم يتم فكّ سننها ورموزها في عمق الخطاب.¹¹

(2) إشكالية ترجمة المصطلحات في النقد الروائي العربي:

سنحاول في هذا العنصر تسليط الضوء على أهم الترجمات التي قابل بها رواد النقد العربي المعاصر عامة، وباحثوا الحقل السردى على وجه الخصوص مصطلحي Narratology و Narrativity، وذلك من خلال مختلف الدراسات التي تنوعت مناهجها، وتعددت منطلقاتها، بينما توحد مبتغاياها المتمثل في التأسيس لنظرية سرد عربية، والإحاطة ببعض المفاهيم الوافدة من النقد الغربي وتطويعها لمستويات اللغة العربية، كي تخدم هذه النظرية. ومن ثمّ الإمام بتلك المناهج التي صاحبت هذين المصطلحين، والتي استخدمت لمقاربة الخطاب السردى العربي. وللتنبية لا للتمويه، فقد استعنا بالجدول الذي قدّمه أحد باحثي هذا الحقل - أي السرديات - وهو د. يوسف وغليسي في كتابه (إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد)،¹² ثم سنحلل معطيات الجدول.

اسم المترجم	Narratology	Narrativity	المرجع	الصفحة
محمد الناصر العجيمي	السردية	السردية	في الخطاب السردى	35 - 11
سمير المرزوقي وجميل شاكر	نظرية القصّة	القصصية	مدخل إلى نظرية القصّة	32 - 231
لطيف زيتوني	السردية	؟	معجم مصطلحات نقد الرواية	107
عبد الملك مرتاض	السردانية علم السرد	؟	تحليل الخطاب السردى في نظرية الرواية	189 130
محمد معتصم	السرديات	السردية	ترجمة: عودة إلى خطاب الحكاية (جيرار جينيت)	245
	علم السرد			

60	المصطلحات الأدبية الحديثة	؟	علم القص علم الرواية	محمد عناني
235	مجلة اللسان العربي	السردية	دراسة السرد	التهامي الراحي الهاشمي
201	قاموس اللسانيات	السردية	السردية	عبد السلام المسدي
02	البطل الملحي والبطل الضحية	؟	علم السرديات	عبد الحميد بورايو
17 52	هندسة المعنى في الخطاب الأسطوري	؟	التحليل السرد علم السرد القصصي علم السرديات	قاسم مقداد
121	قاموس مصطلحات التحليل السيمائي	السردية	؟	رشيد بن مالك
98	ترجمة: مدخل لجامع النص (جيرار جينيت) ط2	؟	فن السرد النظرية السردية	عبد الرحمان أيوب
85	ضمن: طرائق تحليل السرد الأدبي	؟	السردولوجيا	رشيد بن حدو
104 146	المتخيّل السرد	؟	السردية علم السرد السرديات	عبد الله إبراهيم
13 14 15	قال الراوي	السردية الحكاية	السرديات	سعيد يقطين
137	معجم اللسانية	؟	دراسة الرواية دراسة الحكاية	بسام بركة
30 - 28	مباحث في السيميائية السردية	السردية	السرديات	نادية بوشفرة

الملاحظ من معطيات الجدول أنّ مصطلح **Narrativity** لم يجد في ترجمته إشكالية كبيرة، إنّ لم نقل إنّ كثيراً من النقاد لم يولوه أهمية بقدر ما انصب اهتمامهم في المصطلح الأول، إلا إذا تعلق الأمر بالفئة التي اهتمت بالسيمائية السردية، والتي وجدت من الضرورة التوقف عند مصطلح **Narrativity** ليتفق أغلبهم أنّ مكافئه الترجحي في العربية هو السردية، والذي يشبهه من حيث الصيغة الصرفية؛ أي كون كل منهما صفة في لغته الأصلية، في حين ذهب البعض إلى استعمال كلمة القصصية أو الحكائية، وهي تخضع لنفس البنية الصرفية. ولعلّ المقصود بهذه الترجمات يبقى واحد، سواء أكان الأمر لكونها

ترجمة لمصطلح واحد أي Narrativity ، أو كان يتعلق بالمفهوم الذي وُظفت لأجله هذه المصطلحات في الذهنيات النقدية لأصحابها، والذي يمكن حصره في أنّ السردية تعني تلك السمة التي تميّز الحكايات، في حركية التحويل وثبات الحالة، في الانفصال والاتصال، وكيفية ذوبان المعنى وانصهار الدلالة تحت هذه المكونات.

أما عن المصطلح الأول Narratology، فقد تعدّدت الترجمات، ومنها ما تداخل. وقد يرجع سبب هذا التعدّد إلى عدّة اعتبارات :

- العناية الكاملة والاهتمام التام بهذا المصطلح لأهميته في الحقل المتعلّق به.
 - تعدّد السياقات التي وُظف فيها المصطلح الأصلي، وتنوّع المصادر التي تناولته. أي تعدّد المرجعيات النقدية أو حتى الفكرية للمصطلح
 - شساعة المعجمية العربية، والتي من شأنها أن تَهَبّ لمصطلح أجنبي واحد عدة معادلات تُرجمية ولمعنى واحد عدّة مترادفات، فاللغة العربية لغة واسعة، رحبة، متجددة، تتمتع بالقدرة على خلق وتعريب ونحت ما يفوق اللغات الأخرى من المصطلحات.
- فقد وجدنا أنّ المصطلح الذي كثيرا ما تردد عند نقادنا هو السرديات، على منوال المصطلحات المسماة بها بقية الحقول (لسانيات، صوتيات، سيميائيات..) فهو يقارب إلى حدٍ بعيد Narratology باعتبار أنّ اللاحقة (يات) تمنح المصطلح بعدا علميا (logy)، وممّن اعتمدوا هذا المصطلح نذكر: محمد معتصم، سعيد يقطين، عبد الله إبراهيم، نادية بوشفرة.. والمصطلح الثاني الذي يلي السرديات من حيث نسبة الاستعمال هو علم السرد، وهو يعتمد تفكيك المصطلح إلى Narrations و logy، حيث إنّ تداخلهما يمكننا من نحت مصطلح Narratology. فيكون معادله في العربية علم السرد، وممّن وظفوه نجد: محمد عناني وعبد المالك مرتاض (الذي انفرد باستعمال مصطلح السردانية كمعادل آخر لعلم السرد، وانفرد رشيد بن حدّو باستعمال مصطلح السردولوجيا) في حين ذهب آخرون إلى اعتماد علم القص أو علم الرواية، باعتبار أنّ Narration تشمل معنى القص، وتتجاوزه إلى جميع الأجناس السردية . أما المصطلح الثالث فهو تركيب للمصطلحين السابقين أي علم السرديات، ومن أصحابه: قاسم مقداد، عبد الحميد بورايو..

ولعلّ المصطلح الذي يثير الجدل، ويحرّك أزمة الترجمة في الدراسات العربية، هو السردية، الذي يوقع الباحثين في متاهة الدلالات. أيّ السردية يقصدون؟ هل سردية بمعنى Narratology ؟ أم سردية بمعنى Narrativity ؟ فمعظم الباحثين الذين أطلقوا السردية على المعنى الأول، تجاوزوا المعنى الثاني. سوى عبد السلام المسدي ومحمد الناصر العجيمي، الذين تناولوا المعنيين بمصطلح واحد ! ويبقى السؤال في هذه القضية مطروحا.

وما يزيد النظر إلى مصطلح Narratology غموضاً هو توالي موجة أخرى من المصطلحات، منها ما يقحم كلمة نظرية في الاصطلاح، كنظرية القصّة عند المرزوقي وشاكر، أو النظرية السردية عند عبد الرحمان أيوب. أو كلمة دراسة، مثل دراسة الحكاية أو دراسة الرواية عند بسام بركة، أو دراسة السرد عند الراجي الهاشمي. ثم كلمة التحليل السردى، أو فن السرد عند البعض الآخر. وعلى العموم يمكن أن نخرج من حديثنا في هذا إشكال إلى أنّ جميع المصطلحات التي وضعها نقادنا لمقابلة المصطلح الأجنبي Narratology على رغم تنوعها، واختلاف بعضها عن البعض الآخر. فإنّ مدلولها يبقى واحداً وثابتاً في الذهنية العربية: علم قواعد السرد وقضاياها، والذي انحدر من الشعرية، لينتقل في إحدى مراحل تاريخه من دراسة الخرافة والأسطورة، إلى دراسة كل الأشكال السردية من قصة ورواية.. ولما تعددت هذه الأشكال، وجدت السرديات لنفسها مخرجاً بجمعها تحت اسم المحكيّات Récits، لتتوجّ السرديات علماً قائماً بذاته له قواعده المعيارية، ومناهجه الإجرائية.

خاتمة:

تصنّف أشكال الخلل الذي يقف وراء نعثر مسار قيام مصطلح محدد وموحد في النقد الروائي إلى ثلاث مجموعات حسب تجلياتها

أولاً: خلل موجود على مستوى الدال إذ إنّ النقاد والدارسين راحوا يمنحون المفهوم الغربي الواحد أكثر من مصطلح عربي كمكافئ ترجمي لذلك المفهوم (كما سنرى في المبحث الثالث)، وهذا التعدد في المصطلحات يشكل خطورة كبيرة على الدراسة النقدية، لأنّه يؤثر سلباً على التواصل النقدي من جهة، وعلى تلقي القارئ من جهة أخرى

ثانياً: خلل على مستوى المدلول وهو أقل انتشاراً بالمقارنة مع النوع الأول، ويتمثل في وضع عدة مدلولات لدال واحد، وهذا الأمر يخرق أحد أهم شروط قيام المصطلح النقدي الذي يستوجب عدم تعدد المدلولات لمصطلح واحد، حتى يتسنى له أداء دوره النقدي وفاعليته الإجرائية.

ثالثاً: خلل على مستوى الدال والمدلول معاً، وهو يجمع بين المظهرين السابقين، بل وإنّه أخطر منهما على الممارسة النقدية الروائية في العالم العربي، ويمكن تسمية هذا النوع بالاضطراب المركب، وهذا ما سبّب تلك الفوضى العارمة التي عرفتها الدراسات العربية على مستوى المصطلحات، فاختلطت المفاهيم على القارئ وأدخلته في متاهات الدلالة.

ومنه نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه: ما هي أسباب هذه الوضعية التي لا تزيد مع الأيام إلا تفاقمًا؟

1\3 إنّ السبب في الاختلالات السابق ذكرها يعود أساساً إلى غياب مؤسسة موحدة تعمل على مراقبة الجهود المقدّمة في هذا المجال (أي النقد الروائي العربي)، والتي من شأنها أن توحد الضوابط والمعايير التي تقوم عليها ترجمة أو نحت المصطلح النقدي على أنّ الجهود الفردية تتسبب لا محالة في ظهور

وجهاً نظر مختلفة وآراء متباينة، وهذا ينعكس سلباً على تأسيس نظرية نقدية موحدة، فيظهر ما يعرف بفوضى المصطلح.

وربما يبقى هذا تبريراً عاماً للظاهرة، كونه عاجزاً عن تفسير تجلياتها الثلاثة مما يستلزم البحث عن سبب كل شكل من أشكال هذه الظاهرة، أي الباعث الذي أدّى إلى ظهور كل خلل فإذا عدنا إلى الاختلال الأول الذي يصيب الدال سنجد أنه يرتبط في جوهره بعاملين:

الأول: يتمثل في تجاهل بعض الباحثين للقواعد المسطرة من طرف الهيئات العلمية العليا من مجامع لغوية ومكاتب تنسيق التعريب، والاعتماد على جهودهم الخاصة، فنجد أن البعض اعتمد الترجمة والبعض الآخر اتجه إلى التعريب

الثاني: يتمثل في الطريقة الفردية التي يتم بها البحث في قضية مصطلحات النقد الروائي العربي، في غياب العمل المؤسسي الجماعي، وفق منهج مدروس وموحد، كما هو الحال في النقد الغربي المتقدم، وهذا يضيف على الجهود المصطلحية طابع التعدد والاختلاف، لدرجة أن القارئ لهذه الدراسات يشعر أن كل باحث يمثل مدرسة خاصة به، رغم توحد المرجعية التي هي بالضرورة أجنبية، فأصبحت العودة إلى النظريات والمصطلحات في لغاتها الأصلية أكثر ضماناً من الاطلاع عليها مترجمة إلى العربية، هذا ما حال دون إمكانية تطوير الموروث النقدي العربي.

إنّ ضرورة تحمّل المؤسسات العلمية الرسمية لمسؤولية توحيد المصطلح وتوجيه البحث بإرساء مجموعة من القواعد والضوابط تقوم عليها الدراسة، لا يبرئ الباحثين المنفردين بجهودهم من مسؤولية الفوضى التي عرفتها الساحة النقدية على مستوى المصطلح، على أن تلك الأنانية التي تتملك كل واحد قد تدفعه إلى تجاهل جهود غيره، وتحكيم رأيه دون أية موضوعية، هذا ما انعكس سلباً على تحريك عجلة البحث وتطويره.

وهذا الكلام لا يحمل في طياته تقييلاً من أهمية الجهود الفردية، أو أنه يعني عدم جدواها، بل هو توجيه للمسار الذي يجب أن تكون عليه هذه الجهود، والذي يتلخص في:

- ضرورة ترجمة المصطلحات الغربية وتطويرها للغة العربية، كي تلائم النقد الروائي العربي، وذلك في شكل موحد ومنظم.

- عدم اللجوء إلى اقتراح مصطلحات جديدة، والاكتفاء بتطوير المصطلحات التي سبق وأن قدمت في هذا المجال.

ولعلّ ما ينشر من مقالات وبحوث في الصحف والمجلات كفيل برصد تلك الفوضى الاصطلاحية التي يعرفها النقد الروائي في الوطن العربي، فكان الحل لدى بعض النقاد - ربما - هو وضع المصطلح الغربي (الأصلي) إلى جانب المصطلح العربي (المترجم أو المعرب) نظراً لعجز المصطلح الثاني عن أداء وظيفته التواصلية في الممارسة النقدية.

أمّا عن أسباب ثاني مظاهر الاختلال المصطلحي في نقدنا الروائي، أي فيما يخص المدلول، فهي تختلف عن الأسباب والعوامل الموجودة في الحالة الأولى. ففي قضية المدلول ترتبط التشوهات بالطريقة الاختزالية التي يتم بها وضع المصطلح، وهذا بعد فهم واستيعاب المفاهيم في سياقاتها المعرفية الخاصة، فدلالة أي مصطلح محدودة في سياق معرفي معيّن، وأي تعامل معها خارج هذا الإطار يفقدها قدراتها الدلالية ومصادقيتها الإجرائية، ويفهم من هذا السياق أنّ ترجمة المصطلحات الأجنبية في النقد عامة، وفي النقد الروائي بخاصة ليس بالأمر اليسير، بل هو عملية جد معقدة، وتستوجب الحذر الشديد، فهذه العملية لا ترتبط فقط بمعرفة الباحث للغتين المترجم إليها وعنهما. وإنما تتطلب أيضا الإحاطة الشاملة بالإطار المرجعي العام للمصطلح المنقول، تجنباً لاختزالها وتشويهها، وبالتالي استعمالها في غير ما وضعت له، فيصبح للترجمة عندئذ دور سلبي في عملية التفاعل مع النقد الغربي.

أمّا إذا انتقلنا إلى الاختلال الثالث الذي يجمع بين تحريفي الدال والمدلول، فهو يمثل أخطر المظاهر في مجال النقد الروائي، لما يعكسه من عدم الالتزام حتى بأبسط القواعد في عملية الترجمة، سواء من حيث جهل مرجعية المصطلح المترجم، أو من حيث الإصرار على تجاهل الجهود العربية السابقة. ولعل أكثر مثال لهذا المظهر من الاختلال هو مصطلح *histoire* الذي قوبل عند البعض بالتاريخ بدل الحكاية.

1\4 وبعد هذا كله يمكن القول أنّ الأوان قد آن لوضع حد لكل هذه التجاوزات التي يعاني منها النقد الروائي العربي، وذلك بفتح الباب على مصراعيه أمام الجهود الجادة والفعالة، في المقابل سد كل الطرق أمام كل متطفل يزعم أنّ له جهوداً لتطوير البحث في هذا الميدان، وهذا كله لن يتم إلا إذا توحد العمل وخضع لمجموعة من الضوابط تتم في ظل مؤسسة علمية مسؤولة من شأنها توجيه ومراقبة كل الجهود. وإلى ذلك الحين هذه بعض الاقتراحات العلمية التي يجب اتخاذها لتدارك الموقف:

- 1 - رفع من عمل المجاميع اللغوية بوضعها لحدود وضوابط الاشتغال في هذا الميدان.
- 2 - توسيع مجال هذه المؤسسات لتنفتح على كل التخصصات.
- 3 - إعادة النظر في قواعد وضع المصطلحات، وذلك قصد توحيد العملية وتعميمها على كل الجهات تجنباً للاختلاف.
- 4 - استحداث طرق حديثة بدل الطرق التقليدية في إيصال المعلومة المصطلحية.
- 5 - خلق وحدات بحث متخصصة في قضية المصطلح على مستوى الجامعات، وإشراكها في المجهود القومي.
- 6 - عقد لقاءات دورية وملتقيات تجمع أهل الاختصاص في هذا الميدان، على المستويات المحلية والقطرية والقومية. لتبادل الآراء وتوحيد الخبرات.

الهوامش:

¹ Narratology في اللغة الإنجليزية، أما في اللغة الفرنسية نقول: Narratologie والمقصود بهما معنى واحد هو السرديات أو علم السرد.

² عبد الله إبراهيم، السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، سنة 2000 م، ص 17

³ المحكي هو مجموعة من الأحداث والأفعال المتسلسلة، التي ترمي إلى تحقيق غاية ما، تتحدد وفق أبعاد زمنية ومنطقية.

⁴ نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع. تيزي وزو، ط1، سنة 2008 م، ص 29

⁵ المرجع نفسه، ص 29

⁶ عبد الله إبراهيم، السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص18

⁷ يتمثل بحث بروب في كتابه Morphologie du conte merveilleux المترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان (مورفولوجيا الحكاية الخرافية) بقلم إبراهيم الخطيب

⁸ المرجع نفسه، ص 19

⁹ سعيد يقطين: نظريات السرد وموضوعها (في المصطلح السردية)، مجلة علامات، ص 48

¹⁰ ينظر: المرجع السابق، ص 50

• استعمل مصطلح المحكي كمعادل ترجيحي قابل به بعض نقادنا العرب المصطلح الأجنبي Récit، وعرف على أنه مجموعة من الأحداث والوقائع المتسلسلة والمتتابعة وفق نظام زمني وبعد منطقي. حيث يرون أنّ هذا المصطلح يشمل كل الأنواع السردية (الأسطورة، الحكاية، الخرافية، القصة، الرواية...)، وقد يتجاوزها إلى كل ما هو إرسالي يحمل في طياته قصة كاللوح الزيتية والنقوش.. والأنساق البصرية كالفيلم والسينما والمسرح... ومصطلح المحكي يستوعب كل ذلك ومن الدارسين من يستعمل أيضا مصطلح المسرود لمقابلة مصطلح Récit. أما مصطلح السردية Narrativité فهو مصطلح ظهر مع النظرية السيميائية، وهو يختلف أيما اختلاف عن مصطلح سرد Narration (الذي أشرنا إليه سابقا) وعن مصطلح السرديات Narratologie؛ فالسرديات هي علم السرد، أي الجانب الذي يشمل القواعد العامة والأسس التي ترتبط بالعقل والمنطق العلمي نظرا لوجود اللاحقة logie. أما السردية فتتعلق بمحتوى هذا العلم ومادته المبنية داخل النصوص، فهي بذلك عند السيميائيين - خاصة غريماس - تعني مجموع الحالات والتحويلات الحاصلة بين الفواعل والموضوعات. لكن الإشكال الواقع في الدراسات العربية هو قابلية بعض الدارسين لمصطلحي Narratologie و Narrativité بنفس الاسم في العربية أي سردية (مثلا فعل ذلك محمد الناصر العجيمي في تابه في الخطاب السردية، نظرية غريماس ص11، وعبد السلام المسدي في قاموس اللسانيات ص 201).

¹¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 33

¹² يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، سنة 2008 م